كلية التربية

قسم الفلسفة والإجتماع

مبـدأ السبب الكـافـى فى فـلسـفة شوبنـهـاور

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير لاعداد المعلم فى الآداب

تخصص (فلسفة)

إعداد

آية مصطفى محمدغريب

المعيدة بقسم الفلسفة والإجتماع

كلية التربية - جامعة عين شمس

إشـــراف

أ.د قـدريـة إسمـاعيل إسمـاعيل

أستاذ الفلسفة المتفرغ

كلية التربية – جامعة عين شمس

د. إنجى حمدى عبد الحافظ

مدرس الفلسفة

كلية التربية – جامعة عين شمس

د. فاطمة بكر سيد

مدرس الفلسفة

كلية التربية – جامعة عين شمس

٢٠١٧

كلية التربية

قسم الفلسفة والإجتماع

اسم الطالب: آية مصطفى محمد غريب

عنوان الرسالة : مبدأ السبب الكـافى فى فلسفـة شوبنهـاور

اسم الدرجة: الماجستير لإعداد المعلم فى الآداب

لجنة المناقشة

أ.د. قدرية إسماعيل إسماعيل	**أ.د. محمد مجدى محمد محمود الجزيرى**	**أ. د. رجاء أحمد على**
أستاذ الفلسفة المتفرغ	أستاذ الفلسفة	أستاذ الفلسفة
كلية التربية – جامعة عين شمس	كلية الآداب- جامعة طنطا	كلية الآداب – جامعة القاهرة

تاريخ المناقشة : / /٢٠٠

الدراســات العليــا

ختم الإجازة: أجيزت الرسالة بتاريخ / / ٢٠٠

موافقة مجلس الكلية

/ / ٢٠٠

موافقة مجلس الجامعة

/ / ٢٠

شكـــــر

الحمد لله رب العالمين، والشكر لله على ما أنعم على من نعم كثيرة، ووفقنى لهذا العمل، وأعاننى على الإنتهاء منه، ولأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله ؛ فإنه لا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير إلى أستاذتى **الأستاذة الدكتورة: قدرية إسماعيل إسماعيل** لتفضلها بالإشراف على هذا البحث ولما قدمته لى من عون وما بذلته من جهد فى سبيل إتمام هذا العمل فضلاً عن توفير المادة العلمية والدعم النفسى الذى أحاطتنى به طيلة فترة إعداد هذا البحث، فهى بحق نعم الأستاذة، ونعم القدوة ونعم الأم .ولها منى عظيم الثناء وجزاها الله عنى خيرا، وأمدها بالصحة والعافية، وجعلها دوماً زخراً لطلابها.

كما أتقدم بالشكر إلى **الدكتورة إنجى حمدى عبد الحافظ** وإلى **الدكتورة فاطمة بكر سيد** لتفضلهما بالإشراف على هذا العمل، فلهم منى جزيل الشكر والتقدير.

كما أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة المكونة من **الأستاذ الدكتور محمد مجدى محمد محمود الجزيرى**، أستاذ الفلسفة ، كلية الآداب جامعة طنطا، و **الأستاذة الدكتورة رجاء أحمد على**، أستاذ الفلسفة ووكيل كلية الآداب جامعة القاهرة.

وذلك لموافقتهم على مناقشة هذا البحث ولما سيقدمانه لى من ملاحظات تثرى خبرتى وتنير خطواتى البحثية المقبلة.

كما يُسعدنى أن أشكر أساتذتى وزملائى بقسم الفلسفة والإجتماع، وأصدقائى داخل القسم وخارجه.

وأخيرا لا يفوتنى أن أتقدم بأسمى آيات الشكر إلى عائلتى وعلى رأسهم جدى– رحمه الله - واسكنه فسيح جناته، والذى كنت أتوق لحضوره اليوم. و اتوجه بالشكر إلى أمى الغالية التى لولا دعمها ومساعدتها لى لما تمكنت من إتمام هذا العمل، وكذلك زوجى وابنتى الحبيبان، وجدتى الغالية، واخوتى الأعزاء وجميع أفراد عائلتى. فلولا تشجيع كل هؤلاء ودعواتهم ما كان هذا البحث فجزاهم الله عنى خير الجزاء.

كلية التربية

قسم الفلسفة والإجتماع

صفحــة العنــوان

مبدأ السبب الكافى فى فلسفة شوبنـهاور

The Principle of Sufficient Reason

in Schopenhauer-Philosophy.

اسم الطالب: آية مصطفى محمد غريب.

الدرجة العلمية: الماجستير لإعداد المعلم فى الآداب.

القسم التابع له: الفلسفة والإجتماع.

الجامعة : عين شمس.

سنة التخرج: ٢٠١٢

سنة المنح:

مقدمة

تتخذ هذه الرسالة موضوعا لها (مبدأ السبب الكافى فى فلسفة شوبنهاور) حيث يدور موضوع – البحث حول دراسة المسألة الرئيسية فى فلسفة هذا الفيسلوف (١٧٨٨-١٨٦٠). ومفاد هذا أن إشكالية البحث تنحصر فى تناول رؤية شوبنهاور لهذا المبدأ. وذلك من خلال البحث فى أربع علاقات مختلفة تماما يشتمل عليها هذا المبدأ. حيث تتأسس كل علاقة من تلك العلاقات على قانون خاص بها مُعطى قبلياً – بوصفه- مبدأً تأليفياً قبلياً. وتنشأ تلك العلاقات عن الكيفية الأصلية التى تحوزها ملكة المعرفة – لدينا - والتى تعد - بمثابة- الجذر الرباعى المشترك لتلك العلاقات.

مفاد هذا أن موضوع – البحث – هنا - ينصب على دراسة مبدأ السبب الكافى من حيث كونه مبدأ كل تفسير على مستوى كل من المعرفة والفلسفة والعلم. حيث يقوم بتفسير الصلة الضرورية بين الموضوعات أحداها بالأخر- بوصفها - إمتثالات للذات العارفة. وذلك إستناداً إلى الإقرار بأن مهمته الرئيسية هى الإجابة على السؤال لماذا؟ فليس كافيا أن يعرف الإنسان ماذا عسى أن يكون الشئ كما هو عليه؟ أو متى كان؟ وأين يكون؟ بل يجب - بالضرورة- أن يعرف لماذا يكون هذا الشئ أو ذاك على النحو الذى هو عليه؟ وبناءً عليه فإن مبدأ السبب الكافى يُنظر إليه - بوصفه - البذرة الباطنية لكل إعتماد ونسبية وتغير.

تتضح أهمية موضوع البحث وجدوى دراسته من خلال مقولة شوبنهاور" إن أهميته فى الحقيقة لهى عظيمة جدا، لأنه قد يُسمَّى بحق أساس كل معرفة وعلم". ذلك لأن العلم يُفهم على أنه نسق من الأفكار، أى جملة من الأفكار المرتبطة فيما بينها بصلة ضرورية، فى مقابل مجرد تجمع من أفكار منفصلة. وتتأكد تلك الأهمية والجدوى من خلال تساؤل شوبنهاور التالى:" ولكن ما عساه ذلك الذى يربط أعضاء النسق معا، ما لم يكن مبدأ السبب الكافى ؟".

إن ما يميز كل نسق فكرى، فلسفى أو علمى - بالضبط - هو كون أفكار النسق تُشتَّق الواحدة من الأخرى كما تشتق من السبب الخاص بها. والأكثر من هذا، فإن كل فلسفة وعلم تحتوى على أفكار تتعلق 'بالأسباب'، والعلل التى تستنبط منها الآثار

(المعلولات)، كما يتضمن - بالمثل - أفكاراً أخرى تتعلق بضرورة ' النتائج' عن 'الأسباب'.

على إمتداد خمسة فصول، تطرح الباحثة معالجة حصرية لمبدأ السبب الكافى بأشكاله الأربعة. هذا بجانب مقدمة وخاتمة. فى الفصل الأول وعنوانه(مبدأ السبب الكافى) ثمة دراسة مفصلة للتعريف بهذا المبدأ – من خلال - تناول قضايا رئيسية هى : التوجه النقدى المثالى الترنسندنتالى لدى شوبنهاور، موقف شوبنهاور من الرؤى السابقة للعلية، ثم نحو رؤية جديدة لمبدأ السبب الكافى. أما الفصل الثانى المعنون (التحليل الترنسندنتالى للواقع التجريبى: مبدأ الصيرورة) فيتضمن البحث فى ثلاث قضايا رئيسية هى: الموضوع بالنسبة للذات، الامتثالات الحدسية التامة التجريبية. وأخيرا قانون العليَّة. ويأتى الفصل الثالث تحت عنوان (مبدأ المعرفة: السبب والنتيجة) حيث تتناول الباحثة ثلاث قضايا رئيسية وهى: الإمتثالات المجردة أى المفاهيم، ثم ملكة العقل- المعرفة العقلية المجردة، وأخيرا، مبدأ المعرفة. ويتبدى الفصل الرابع تحت عنوان(مبدأ الوجود فى الزمان والمكان) كاشفا مضمون ثلاث قضايا رئيسية هى: الزمان والمكان، مبدأ الوجود فى الزمان والمكان، وأخيرا المعرفة القبلية. ويظهر الفصل الخامس والأخير المعنون(مبدأ الفعل: قانون الدافعية) موضحا لمضمون ثلاث قضايا رئيسية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بقانون الدافعية، وهى: إرادة الإنسان، قانون الدافعية ، وأخيرا دور العقل فى توجيه الأفعال الإنسانية.

أما فيما يتعلق بأهداف البحث ، فإن الباحثة تقصد من وراء إعداد هذه الرسالة إلى تحقيق المقاصد التالية:

١- الكشف عن ماهية، ومعنى،و وظيفة، أشكال مبدأ السبب الكافى.

٢- بيان الأشكال القبلية الترنسندنتالية التى يحوزها هذا المبدأ ووظائفها.

٣- إيضاح نطاق قابلية هذا المبدأ للتطبيق.

٤- إثبات أصالة شوبنهاور فى التفلسف.

يستند البحث إلى عدد من التساؤلات والفروض التى يتم إستخدامها- بوصفها - أفكاراً منظمة لمسار البحث، أى كموجهات له، ويأتى فى مقدمتها:

١- (يقال بأن فعل التفلسف – لدى - شوبنهاور محكوم بتوجه نقدى مثالى ترنسندنتالى)- إلى أى مدى تصدق هذه المقولة؟

٢- ما هو موقف شوبنهاور من تراث العلية؟

٣- ماذا عسى أن يكون مبدأ السبب الكافى من حيث الماهية، والمعنى ،و الوظيفة، والأشكال، ونطاق مدى سريان صلاحية تطبيقه، ونطاق إستحالة هذا التطبيق؟

٤- ما هو مضمون التحليل الترنسندنتالى للواقع التجريبى؟

٥- (يقال بأن الموضوع - أيا ما كان - هو إمتثال للذات) – إلى أى مدى يُصدق هذا الزعم.

٦- كيف يَحكم قانون العليَّة فئة الإمتثالات الحدسية، التامة التجريبية؟

٧- ماذا يعنى مبدأ المعرفة وكيف يحكم فئة الامتثالات المجردة أى المفاهيم؟

٨- كيف يُحدد مبدأ الوجود فى الزمان والمكان العلاقات الزمانية والمكانية؟

٩- (يقال بأن قانون الدافعية هو مبدأ الفعل – كيف يعمل هذا القانون فى نطاق (فعل المشيئة) ؟

١٠- أثمة أصالة لرؤية شوبنهاور الفلسفية لمبدأ السبب الكافى؟

من أجل تحقيق المقاصد وإيجاد إجابات على التساؤلات والفروض السابقة سوف يتم إستخدام كل من المنهج التحليلى النقدى والمنهج التاريخى المقارن.

* **<u>المنهج الأول:</u>** لتعيين ودراسة الأفكار الفرعية التى تندرج تحت موضوع – البحث، على النحو الذى ترتبط – من خلاله - إحداهما بالأخرى إرتباطا منطقيا. هذا إلى جانب تحليل رؤية شوبنهاور لمبدأ السبب الكافى من حيث أشكاله الأربعة وتوضيح الكيفية التى يعمل بها كل شكل منها فى كل فئة من فئات الموضوعات بالنسبة للذات.

* **المنهج الثانى:** للكشف عن المصادر الفلسفية والفكرية التى يُرجح أنها قد ساعدت فى تشكيل رؤية شوبنهاور لمبدأ السبب الكافى من منظور نقد مثالى ترنسندنتالى.

هذا وترى الباحثة أنه قد يكون من المفيد التعريف بالسيرة الذاتية لشوبنهاور فى سطور قليلة لتوضيح مساره الفلسفى وأهم أعماله الفلسفية. تمضى لوحة حياته على النحو التالى:

١٧٨٨	ولدَ أرثور شوبنهاور فى ٢٢ فبراير ١٧٨٨ بمدينة دانتسج بألمانيا.
١٨٠٩-١٨١١	فى سنة١٨٠٩دخل جامعة جيتنجن ،اهتم بدراسة الطب والعلوم الطبيعية، والتاريخ كما درس الفلسفة على يد الفيلسوف شولسته Schulge الذى وجهه إلى دراسة أفلاطون وكانط وحدهما.
١٨١٣	حصل على الدكتوراه برسالته الفلسفية" عن الجذر الرباعى لمبدأ السبب الكافى ".
١٨١٦	كتب رسالته" فى الإبصار والألوان".
١٨١٩	كتب فى درسدن كتابه الرئيسى" العالم إرادة وإمتثالاً".
١٨٢٠	نال دكتوراه التدريس.
١٨٣١	ومايليها: أوَى إلى مدينة فرنكفُرت على الماين، حيث أمضى البقية من حياته .
١٨٣٦	كتب رسالته: "حول الإرادة فى الطبيعة".
١٨٣٩	كتب رسالته: " حرية الإرادة".
١٨٤٠	كتب رسالته: " أساس الأخلاق".
١٨٤١	كتب رسالته:" المشكلتان الرئيستان فى الأخلاق".
١٨٥١	كتب :" الحواشى والبواقى" .
١٨٦٠	توفى فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٦٠
	هناك مؤلفات أخرى نشرت بعد وفاته.

كان شوبنهاور يتريث فى الإنتاج الفلسفى، فلا يدفعه دافع خارجى مهما كان شأنه، سواء أكان الدولة أم الكنيسة أم المادة إلى الاسراع فى التأليف ووضع الكتب حسب الطلب. بل وضع لنفسه مبدأً هو أن لا يقول شيئا إلا إذا كان لديه ما يقوله وعلى النحو الذى يود أن يقوله. كان شوبنهاور حراً بإزاء السلطات الثلاث.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	أ ــ د
الفصل الأول	١ ــ ٤١
الفصل الثانى	٤٢ ــ ٧٦
الفصل الثالث	٧٧ ــ ١٠٨
الفصل الرابع	١٠٩ ــ ١٤١
الفصل الخامس	١٤٢ ــ ١٨١
خاتمة	١٨٢ ــ ١٨٤
ملخص باللغة العربية	١٨٥ ــ ١٨٧
ملخص باللغة الإنجليزية	١٨٨ ــ ١٩٠
مستخلص باللغة العربية	١٩١ ــ ١٩٤
مستخلص باللغة الإنجليزية	١٩٥ ــ ١٩٨
ثبت المصادر والمراجع	١٩٩- ٢٠٥

الفصل الأول

مبدأ السبب الكافى

المحتويات:

أولا ــ التوجه النقدى المثالى الترنسندنتالى لدى شوبنهاور.

ثانيا- موقف شوبنهاور من الرؤى السابقة لمبدأ السبب الكافى.

ثالثا- نحو رؤية جديدة لمبدأ السبب الكافى.

الفصل الأول

مبدأ السبب الكافى

يتخذ هذا الفصل موضوعاً له (مبدأ السبب الكافى فى فلسفة شوبنهاور) حيث يتضمن معالجة مُفَصلة لثلاث قضايا رئيسية تتعلق بموضوع البحث هنا . تنحصر **القضية الأولى** فى الكشف عَن النحو الذى اتبعَه شوبنهاور فى التفلسف و أهم المصادر الفلسفية التى ساعدت فى تشكيل رؤيته الفلسفية للعالم بوصفه **إمتثالاً و إرادة**. و تتمثل **القضية الثانية** فى تحديد موقف شوبنهاور إزاء الرؤى الفلسفية التى قدمها الفلاسفة السابقون عليه و المعاصرون له لمبدأ السبب الكافى نتيجة لدراستهم لمفهوم العلية و يستند هذا التحديد الى المسح الشامل الذى قام شوبنهاور بإجرائه للرؤى الأعظم أهمية و دلالة بالنسبة لكفاءتها لتوضيح ذاك المفهوم . أما **القضية الثالثة** فتنصب على التعريف بمبدأ السبب الكافى ذاته من حيث : الماهية ، المعنى ، الوظيفة ، الأشكال و نطاق سريان صلاحية تطبيقه و نطاق إستحالة ذلك التطبيق .

أولا ــ التوجه النقدى المثالى الترنسندنتالى لدى شوبنهاور :

تكشف أعمال شوبنهاورعن فيلسوف إتخذ نحواً سار عليه فى التفلسف يوُصَّف، بأنه نحو محكوم بتوجه نقدى Critical ،مثالى Idealistic ،ترنسندنتالى Transcendental. كما أنه يوضح القاعدة التى – بمقتضاها - قام بتشييد نسقه الفلسفى.

١- حيث يرى أن النسق الفكرى يجب أن يأتى مترابطا ومتماسكا على نحو يسند فيه الجزء الواحد جزءاً غيره، على الرغم من أن الجزء اللاحق لا يسند الجزء السابق عليه . و أن يكون هذا النسق على نحو يحمل فيه أساس Ground البناء كل الأجزاء، دون أن يكون محمولاً عليها و تكون قمة البناء محمولة دون أن تكون حاملة .

وعلى الجهة الأخرى ، فإن الفكرة الواحدة - مهما كانت شاملة – يجب بالضرورة – أن تحتفظ بوحدة كاملة تماما. و إذا أمكن تقسيمها إلى أجزاء بغرض يسر توصيلها، فإن إرتباط هذه الأجزاء يجب أن يكون – ايضا - إرتباطاً عضوياً، أى إرتباطاً من النوع الذى يسند فيه كل جزء الكل تماما، بقدر ما يكون مسنوداً بهذا الكل، إرتباطاً لا يكون فيه جزء أول و جزء أخير. يقول شوبنهاور " هو إرتباط تكتسب فيه

الفكرة ككل وضوحاً من كل جزء فيها، بل إن أصغر جزء فيها لا يمكن فهمه- تماما- حتى يتم فهم الكل أولا".[١] و من يدرك ما سبق ، فإنه – عندئذ - يكون بمقدوره – كما يرى شوبنهور - أن يستوعب منهج التفسلف الذى حاول إستخدامه والذى يؤكد على كونه مختلفا تماما عن كل المناهج السابقة.

ولكنه على الرغم من هذا يعلن أنه يبدأ تفلسفه – أساسا - مما أنجزه كانط Kant العظيم . بيد أنه يوضح أن دراسته الجادة لأعمال كانط قد مكنته من اكتشاف أخطاء فيها قام بعزلها وبيان مبررات رفضها على النحو الذى جاء عليه فى ملحق مؤلفه الرئيسى تحت عنوان "نقد الفلسفة الكانطية " يقول شوبنهاور : " فلسفة كانط إذا هى الفلسفة الوحيدة التى تكون المعرفة التامة بها أمراً مفترضاً فيما سوف نقوله هنا."[٢] وسوف يتبين ذلك فى ثنايا عرض البعد النقدى لتوجه شوبنهاور فى التفلسف.

وإذا كانت أعمال كانط تمثل المصدر الفلسفى الأصيل الذى ساعد فى تشكيل رؤية شوبنهاور الفلسفية، فإن ثمة مصادر أخرى قام بتوظيفها فى تشييد نسقه الفكرى . فهو يعترف بأثر تعاليم أفلاطون Plato – وخاصة نظريته فى المثل – فى رؤيته الفلسفية للعالم والإرادة والفن .وهناك أيضا تأثير كتب الفيدا Veda التى كان المدخل إليها كتب الأوبانشيد وهى مجموعة الكتابات الفلسفية فى مجال العقيدة و الحكمة الهندية القديمة، و تتضمن شرحاً لكتب "الفيدا المقدسة ".

بيد أنه ظل يكرر – مراراً- أن فلسفته تنطلق من فلسفة كانط حيث يرى أن تعاليم كانط العظيم تحدث تغييراً أساسياً فى كل عقل يدركها. وهذا التغيير يكون هائلاً بحيث يمكن إعتباره ميلاداً عقلياً جديداً . يقول شوبنهاور: " فهذه التعاليم وحدها هى القادرة بالفعل على إقصاء النزعة الواقعية Realism الفطرية التى نشأت من قبل عن العقل....انخرط كانط فى **الخاص** ، وهو يسلك سبيله هنا بطريقة لاتضاهى سواء عند السابقين عليه أو اللاحقين له، طريقة لها تأثير خاص تماماً نكاد نقول إنها طريقة لها تأثير مباشر على العقل ".[٣]

(1)Schopenhauer-The world as will and representation,vol.1,preface to 1.ed,. 1969 P.Xi
(2) Ibid.-P.xv
(3) Ibid.-Pxiii

ويترتب على هذا النحو الذى سلكه كانط فى التفلسف أن يتحرر العقل جذرياً من الأوهام – وعندئذ- ينظر إلى الأشياء فى ضوء آخر. ويصير العقل – بهذا النحو الكانطى – فقط قادراً بالفعل على تقبل الأطروحات الأكثر إيجابية .

يتبدى التوجه النقدى الترنسندنتالى – لدى – شوبنهاورحصريا – على نحو ظاهر للعيان - فيما أورده فى ملحق مؤلفه الرئيسى المعنون "العالم إرادة وإمتثالاً" المجلد الأول عام ١٨١٩حيث يصرح بأنه إذا كان يتخذ نقطة البداية فى تفلسفه من كانط بصورة مباشرة إلا أنه يؤكد على ضرورة توضيح نقاط الاختلاف بينه وبين كانط نظراً لتباين مضمون فلسفته مع فلسفة كانط، بالرغم من إعترافه بتأثره بتعاليم كانط، حيث يُرجع أفضل ما توصل إليه من رؤى فلسفية إلى تأثير أعمال كانط، فضلاً عن الكتابات المقدسة لدى الهندوس، و أفلاطون بالمثل.

يعبر شوبنهاور عن تقديره واحترامه لكانط من خلال ذكر ما يرى أنه يمثل جدارة كانط المبدئية حيث يقول شوبنهاور: "جدارة كانط العظمى التمييز بين الظاهرة Phenomenon والشىء فى ذاته The thing-in-itself الذى يتأسس على الدليل المتضمن أنه يوجد بين الأشياء ونحن us – **الذهن Intellect**، وأنه بناء"على هذا الاعتبار، ليس بمقدور الأشياء أن تُعرف طبقا لما قد تكون عليه فى أنفسها ".[١] ذلك لأن كيفيات الأشياء فى ذاتها تنتمى إلى الظاهرة الخاصة والمختصة بها فى ملكة الادراك Perception أو وعى الادراك (الفهم) Apprehension. ويكون هذا تماماً لأن **'شروط'** هذه الملكة،أى(المكان Space،الزمان Time والعلية Causality) تكون معروفة لدينا قبليا Apriori. وبهذه الطريقة اكتسب التمييز بين الظاهرة والشىء فى ذاته دلالة أعظم ومعنى أعمق واستطاع كانط – بذلك- التمييز بين معرفة قبلية وأخرى بعدية Aposterieri .

ويرى شوبنهاور أن الفصل بين الظاهرة والشىء فى ذاته –لدى كانط- يعبر عن نفس الحقيقة Truth التى يذكرها أفلاطون على النحو التالى : العالم الذى يبدو للحواس لا يحوز وجوداً (كينونة) Being حقيقياً True،بل فقط صيرورة Becoming

(1) Schopenhauer-The world as will and representation,vol.1,P.417,ed.1960

لا تتوقف : أنه يكون (it is)، وأيضا (لا يكون). وهو ما عبر عنه أفلاطون فى الكتاب السابع من الجمهورية Republic وهى الحقيقة التى يراها شوبنهاور الفقرة الأعظم أهمية بين كل أعمال أفلاطون يقول الأخير: إن الرجال المقيدين فى كهف مظلم، لا يرون الضوء الأصلى الحقيقى ولا الأشياء الفعلية، بل فقط ضوء النار الخافت فى الكهف، وظلال الأشياء الفعلية التى تعبر خلف ظهورهم. بيد أنهم يتخيلون أن الظلال هى الواقعReality، و أن **تحديد Determing** **توالى Succession** هذه الظلال هو الحكمة الحقة.

وتعد هذه الحقيقة ذاتها على الرغم من طرحها بشكل مختلف تماما على حد قول شوبنهاور - ايضا – التعليم المبدئى لدى الفيدا Veda و Puranas، أى، مذهب المايا Maya، والذى يُفهم على أنه ما أسماه كانط الظاهرة كمقابل للشىء فى ذاته. ذلك لأن عمل المايا – بالضبط - هذا العالم المرئى الذى نحن فيه، ويرى شوبنهاور أن كانط ليس فقط صاغ نفس المذهب بطريقة جديدة تماماً وأصيلة، بل جعلها حقيقة مبرهنة وغير قابلة للجدال حولها خلال الطرح الهادىء والنزيه لها. على حين أقام أفلاطون والهنود قناعاتهم – فحسب - على إدراك كلى للعالم. لقد أنتجوا هذه القناعات باعتبارها التعبير المباشر عن وعيهم، وقاموا بطرحها على نحو أسطورى وشعرى، بدلا من عرضها على نحو فلسفى ومتميز. ويذهب شوبنهاور إلى القول بأن تلك المعرفة الواضحة، وذلك الطرح الهادىء المتروى لهذه الكيفية الخاصة بالعالم فى مجمله لهى أساس فلسفة كانط بأكملها، فهى بمثابة روحها وجدراتها العظمى. لقد أنجز كانط ذلك من خلال تجزئة جملة آلة – ملكة - المعرفة - لدينا – إلى قطع حيث تكشفت ماهية العالم الموضوعى.

لقد أوضح كانط أن القوانين التى تحكم بضرورة غير قابلة للنقض فى الوجود؛أى فى الخبرة بعامة، لا يجب أن تستخدم فى إستنباط وتفسير **الوجود** Existence ذاته. ذلك لأن صلاحيتها Validity نسبية فقط، حيث تبدأ فقط بعد ما يكون الوجود، عالم الخبرة بعامة - قد استقر سلفا وتم تأسيسه. وبالتالى فإن هذه القوانين لا يمكن أن تكون مرشدنا – عندما – نصل إلى تفسير وجود العالم ووجود أنفسنا. لقد تخيل الفلاسفة السابقون أن هذه القوانين التى ترتبط جميع الظواهر – وفقا لها – الواحدة بالأخرى، تلك القوانين التى تندرج – وفقا - لشوبنهاور تحت (مبدأ السبب الكافى) - وهى: (الزمان Time والمكان Space وبالمثل العلية Causality)

والاستدلالInfernce على أنها **قوانين مطلقة** غير مشروطة – قط – بشىء، أى أنها **حقائق أزلية** ، و ان العالم ذاته وجد فقط نتيجة لها وبالتوافق معها وأنه يجب تحت قيادتها – أن يكون لغز العالم فى مجمله قابلاً للحل .

٢- بيد أن كانط أوضح أن تلك القوانين وبالتالى العالم ذاته، مشروطة بنهج Manner الذات Subject فى المعرفة. لقد منحنا كانط رؤية مفادها أن بدء العالم ونهايته لا يجب أن نبحث عنهما خارجنا، بل الأحرى داخلنا. يستند هذا الطرح إلى التمييز بين فلسفة دجماطيقية Dgmatic وفلسفة نقدية ترنسندتالية Critical Transcentale. فعلى سبيل المثال – لا الحصر – رأى كانط وشوبنهاور من بعده أن ليبنتس Leibnitz يبرهن على أصل العالم وطبيعته **قبلياً** بنهج دجماطيقى واقعى، وذلك باستخدام الدليل الأنطولوجى Ontological والدليل الكسمولوجى Cosmological، بناءً على الحقائق الأزلية. مع كانط بدت الفلسفة النقدية بوصفها المعارض لهذا النهج بأكمله. حيث جعلت تلك الفلسفة المسألة الخاصة بها – حصريا - الحقائق الأزلية التى تستخدم باعتبارها أساس تلك البنية الدجماطيقية، وقامت بالبحث فى أصلها حيث وجدته قائماً (كائنا) فى رأس الانسان. فهى تنبع عن الأشكال Forms المنتمية إليها – بالضبط - والتى تحملها فى ذاتها من أجل إدراك وفهم عالم موضوعى. لذلك توجد فى المخ Brain – وفقا لشوبنهاور – المادة الخاصة بتلك البنية الدجماطيقية.

ولما كانت الفلسفة النقدية – من أجل بلوغ هذه النتيجة – مجبرة أن تمضى فيما وراء الحقائق الأزلية – التى أقيمت عليها كل فلسفة دجماطيقية، وحيث إنها – كذلك - مجبرة أن تجعل هذه الحقائق أنفسها موضوع الفحص، فإنها أى الفلسفة النقدية صارت فلسفة ترنسندنتالية، يقول شوبنهاور:" ينتج من هذا – ايضا - أن العالم الموضوعى كما نعرفه لا ينتمى الى الوجود (الكينونة Being) الحقيقى الخاص بالأشياء – فى – أنفسها، بل إن ظواهره فحسب تكون مشروطة بتلك الأشكال الحقة التى تقع (توجد) فى ذهن الأنسان (أى المخ) ؛ ومن ثم فإن العالم ليس – بمقدوره - أن يحتوى أى شىء آخر سوى ظواهر".[١]

(1) Ibid.-P.421